السعادة بين الوهم والحقيقة

أولاً: مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (آل عمران:١٠٢). "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً" (النساء:١). "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً" (الأحزاب:٧٠، ٧١).

أما بعد: [١] فمعاً – أيها القارئ الكريم – نلتقي في طريق من طرق الخير، ودرب من دروب المحبة، ومسلك من مسالك السعادة – أسأل الله أن يجعل هذا في موازين أعمالنا يوم القيامة– .

أيها الأخ الكريم: هل السعادة وهم أم حقيقة؟

ربما عجبت من هذا السؤال!!

نعم، إن هناك سعادة وهمية، وسعادة حقيقية.

ولكن ما الداعي لتقليب صفحات هذا الموضوع والخوض فيه؟

١ – أصل هذا الكتاب محاضرة ألقاها الشيخ ناصر العمر بالرياض، وقد أذن لنا مشكورا بإخراجها.

ثانياً: أسباب طرح الموضوع

أسباب طرق هذا الموضوع أمور كثيرة، منها:

١- لأن كل إنسان على وجه البسيطة يسعى إلى السعادة، قد يختلف الناس في مذاهبهم، يختلفون في أعراقهم، يختلفون في مشاربهم، بل قد يختلفون في مبادئهم وغاياتهم ومقاصدهم، إلا غاية واحدة ربما اتفقوا عليها، من أولهم إلى آخرهم، إنها: طلب السعادة.

المؤمن والكافر، البر والفاجر، كل واحد منهم يريد السعادة، لو سألته: لم تعمل هذا؟ ولأي شيء تفعل ذاك؟ لقال: أريد السعادة!! سواء أقالها بحروفها أم بمعناها، بمدلولها أم بحقيقتها.

٢- أن كثيراً من الناس يخطئ طريق السعادة، كل الناس يريدون السعادة، ولكن كثيراً منهم يخطئ هذا الطريق، بل إن القلة القليلة هي التي تسلك سبيل السعادة الحقيقية.

٣- وهو سبب جوهري - أرجو أن ينال عنايتكم وانتباهكم - وهو أن كثيراً من المسلمين - وأخص الدعاة منهم - عندما يرون أصحاب السعادات الوهمية، يكون هذا الأمر عائقاً لهم عن الطريق إلى الله _سبحانه وتعالى_.

فالداعية إلى الله _سبحانه وتعالى_ يصاب في طريقه بعقبات - وهذا شأن طريق الدعوة - وهو بحاجة إلى من يثبته على هذا الطريق.

ولكنه يرى كثيراً ممن يتصور - خاطئاً - أنهم أصحاب سعادات، يراهم يعيشون في قمة السعادة.

وهنا يحدث له الضعف والوهن في طريقه إلى الله _سبحانه وتعالى_، فيقول – أو يقول له الشيطان– : ألا تكون مثل هؤلاء، ألا تعيش السعادة الحقيقية مثل هؤلاء، فيضعف عن الطريق، وكم من مستقيم ضل وانحرف عن الطريق قبل وفاته!

كم من رجل كان يعيش السعادة الحقيقية، ثم انتقل منها إلى السعادة الوهمية! فلم يحقق السعادة في الدنيا، ولن يحققها في الآخرة.

ومن هنا أيها الأخوة كتبت لكم عن السعادة، لنقف وقفات متأنية علنا نتبين حقيقتها وهم هي أم حقيقة؟

ثالثاً: تعريف السعادة

عند أهل اللغة: هي ضد الشقاوة، فلان سعيد، أي: ضد الشقي.

وأهل التربية وعلماء النفس: يقولون بعبارة موجزة جميلة: هي ذلك الشعور المستمر بالغبطة، والطمأنينة، والأريحية، والبهجة، وهذا الشعور السعيد يأتي نتيجة للإحساس الدائم بخيرية الذات، وخيرية الحياة، وخيرية المصير.

وقبل أن أدخل في صلب الموضوع أحب أن أشير إلى:

ثلاثة أركان رئيسة تحقق معنى السعادة الحقيقية، وهي:

١- خيرية الذات.

٢- خيرية الحياة وهذا المهم.

٣- خيرية المصير.

رابعاً: أوهام السعادة

السعادة في المال

سأقف طويلاً - أيها الأخ الكريم - عند هذه القضية، وما ذاك إلا لأنها قضية حاسمة، ومهمة في تحديد مسيرة حياتنا، بل وتحديد مفاهيمنا الخاطئة، عن السعادة والتي منها:

نتساءل كثيراً عن السعادة، هل السعادة في تكديس المال ؟ وفي جمع الثروات، وبناء العقارات والقصور؟

هل هذه هي السعادة؟

كثير من الناس يتوهم ذلك، فهذا سعيد؛ لأنه يملك الأرصدة في البنوك.

وفلان سعيد؛ لأنه يملك كذا من الأراضي، وكذا من العمارات، فلان سعيد؛ لأنه يملك كذا وكذا.

كثير من الناس يطلق هذا الوهم بلسانه، وكثير منهم يعتقده بقلبه، فيتصرف من هذا المنطلق الخاطئ. أقول: ليست السعادة في جمع المال، على حد قول الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

أخي المسلم:

أقف معك حول هذه القضية — أعني: قضية أن السعادة في المال - ؛لأنها من أهم القضايا في أوهام السعادة.

وجملة القول: ليس كل صاحب مالٍ سعيدًا .

فكثير من أرباب المال وأصحاب الثروات يعيشون في شقاء وتعاسة دائمة في حياتهم الدنيا قبل الآخرة، لماذا؟ لأنهم يتعبون في:

١- جمع المال.

٢- حفظه واستثماره.

٣- القلق والخوف من فوات هذا المال وزواله.

كم من إنسان يملك المليارات، ولكنه خائف! قلق! لماذا كل هذا الخوف؟! ولم كل هذا القلق؟!

إنه يخاف على هذا المال، يخاف أن تأتي هزة سياسية، أو يأتي لصوص فيسرقون هذا المال.

إذن، هو يعيش في شقاء، خوف، قلق، هم، غم، بل إنه لا ينام الليل، وهذا أمر مجرب مشاهد ترونه بأعينكم، بل قد يكون المال سبب هلاكه ومماته!!

كم من غني خطف أو قتل بسبب تجارته.

بل كم من غني حرم من لذاته بسبب أمواله، تجده لا يمشي طليقاً، لا يمشي حراً، لا يسافر كما يريد، لا ينام كما يريد، كل هذا بسبب أمواله!!

ثم كم من إنسان صاحب مال زال ماله، وزالت ثرواته بسبب أو بآخر فعاش بقية حياته في تعاسة وشقاء.

وإليكم هذه النماذج الناطقة:

١- قصة قارون:

تلك القصة التي أوردها القرآن الكريم عن قارون، حيث قال - سبحانه وتعالى- :"فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ" (القصص: من الآية٧٩) في قمة سعادته، حتى إن قائلهم يقول: "إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" (القصص: من الآية٧٩). خرج في زينته فهو ذو حظ عظيم، كل هذا من أوهام السعادة، والنتيجة لكفره بأنعم الله كما يقول الله - سبحانه وتعالى- :"فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ

مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ" (القصص:٨١). أي سعادة هذه وأي نهاية؟!

وعلى هذا فقول أمية بن خلف وأمثاله - يوم القيامة -: "مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ" (الحاقة:٢٨) لم يأت من فراغ.

فبئس المال الذي لا يغني عن صاحبه شيئاً.

٢- قصة كرستينا أوناسيس:

تلك القصة العجيبة التي تؤكد أن المال مهما زاد وكثر، لا يمكن أن يكون وحده سبباً للسعادة.

قصة عجيبة تابعت فصولها على مدى خمسة عشر عاماً أو تزيد، وانتهى آخر فصل منها منذ أشهر فقط، إنها قصة: كرستينا أوناسيس.

وبما أن اللّه - سبحانه وتعالى- قد ضرب لنا الأمثلة من الكفار، فلا غرو ولا عجب ، بل إن ذلك من ضمن المنهج الإلهي القرآني - أن نضرب لكم مثلاً - حتى باسم هذه المرأة.

إليكم قصة هذه المرأة "كرستينا أوناسيس" تلك الفتاة اليونانية، ابنة المليونير المالي المشهور "أوناسيس" ذلك الذي يملك المليارات، يملك الجزر، يملك الأساطيل.

هذه الفتاة مات أبوها، وقبل ذلك ماتت أمها، وبينهما مات أخوها، وبقيت هي الوريثة الوحيدة - مع زوجة أبيها - لهذه الثروات الطائلة.

أتدري - أيها القارئ الكريم - كم ورثت؟

لقد ورثت من أبيها ما يزيد على خمسة آلاف مليون ريال!!! فتاة تملك أسطولاً بحرياً ضخماً!! تملك جزراً كاملة!!! تملك شركات طيران!!

أخي الكريم: امرأة تملك أكثر من خمسة آلاف مليون ريال، بقصورها وسفنها، وطائراتها، أليست - في مقاييس كثير من الناس - أسعد امرأة في العالم؟؟

كم من إنسان يتمنى أن يكون مثل هذه المرأة!! أنت تعلم أنه لو وزعت ثرواتها على مئة فرد، لأصبحوا من كبار الأثرياء، بحيث يصل كل واحد منهم خمسون مليون ريال!!! فهو - إذن - من كبار الأثرياء، فما بالك بامرأة تملك هذه الثروة؟ السؤال هو: هل هذه المرأة سعيدة؟

إليكم فصول قصتها العجيبة، وسيتبين لكم من خلالها الجواب:

أما أمها: فقد ماتت بعد حياة مأساوية، كان آخر فصولها الطلاق.

وأما أخوها: فقد هلك بعدما سقطت به طائرته، التي كان يلعب بها.

وأما أبوها: فقد اختلف مع زوجته الجديدة التي هي "جاكلين كندي" زوجة الرئيس الأمريكي السابق "كندي"، تلك الزوجة التي تزوجها بملايين الدولارات، يبحث عن الشهرة فقط، ليقال: إنه تزوج بزوجة الرئيس الأمريكي "جون كندي".

ومع ذلك فقد عاش معها في شقاء دائم.

تصور أن من بنود عقد الزواج: ألا تنام معه في فراش، وألا يسيطر عليها، وأن ينفق عليها الملايين - حسب رغبتها - .

ومع ذلك فقد اختلفت معه، وعندما مات اختلفت مع ابنته.

وخلاصة القول: إن هذه الفتاة كانت قد تزوجت في حياة أبيها - برجل أمريكي، وعاش معها شهوراً، ثم طلقها - أو طلقته - .

وبعد وفاة أبيها تزوجت برجل آخر يوناني، وعاش معها شهوراً ثم طلقها - أو طلقته - .

ثم انتظرت طويلاً تبحث عن السعادة، أتعلمون من تزوجت؟

للمرة الثالثة "أغنى أمرأة في العالم على الإطلاق"، أتعلمون من تزوجت؟ لقد تزوجت شيوعياً روسياً، يا للعجب!! قمة الرأسمالية تلتقي مع قمة الشيوعية!!!

وعندما سألها الناس والصحفيون - بشكل خاص - عندما سألوها: أنت تمثلين الرأسمالية، فكيف تتزوجين بشيوعي؟

عندها قالت: أبحث عن السعادة! نعم، لقد قالت: أبحث عن السعادة.

وبعد الزواج ذهبت معه إلى روسيا، وبما أن النظام هناك لا يسمح بامتلاك أكثر من غرفتين، ولا يسمح بخادمه، فقد جلست تخدم في بيتها - بل في غرفتيها - فجاءها الصحفيون - وهم يتابعونها في كل مكان - فسألوها: كيف يكون هذا؟

قالت: أبحث عن السعادة.

وعاشت معه سنة، ثم طلقها - بل طلقته - .

ثم بعد ذلك أقيمت حفلة في فرنسا، وسألها الصحفيون: هل أنت أغنى امرأة؟ قالت: نعم. أنا أغنى امرأة، ولكني أشقى امرأة!

وآخر فصل من فصول المسرحية الحقيقية، تزوجت برجل فرنسي.

لاحظوا أنها تزوجت من أربع دول وليس من دولة واحدة لعلها تجرب حظها.

أقول: تزوجت بغني فرنسي (أحد رجال الصناعة)، وبعد مدة يسيرة أنجبت بنتاً، ثم طلقها - بل طلقته - .

ثم عاشت بقية حياتها في تعاسة، وهم، ومنذ شهور وجدوها ميتة في شاليه في الأرجنتين، لا يعلمون هل ماتت ميتة طبيعية، أم أنها قتلت، حتى إن الطبيب الأرجنتيني قد أمر بتشريح جثتها، ثم دفنت في جزيرة أبيها!

انظر إلى هذه المرأة، هل أغنى عنها مالها؟

أما في الدنيا: فلا، وأما في الآخرة، فستقول - لأنها كافرة - "ما أغنى عني ماليه".

إذن، المال وحده لا يكفي، المال وحده لا يجلب السعادة، ولا يوفرها، فمن أكبر أوهام السعادة قضية الثراء والتجارة.

وفي عصرنا الحاضر، تلاحظون وتشاهدون كثيراً من التجار يعيشون في قلق دائم، تشاهدون من ذهبت منه تجارته يعيش في هم وغم.

أذكر على ذلك مثالاً واحداً: أحد التجار، كان يملك الملايين - وهو ممن أعرفهم - ذهبت منه أمواله، وبعد مدة من الزمن ضاقت به المعيشة، وأعسره الضنك، فذهب يبحث عن عمل - وقد كان في مدة من عمره يشغل منصباً كبيراً في إحدى الوزارات - فوجد أخيراً وظيفة صغيرة "على بند العمال". أي سعادة بعد ذلك في المال؟

السعادة في الشهرة

إذن، هل السعادة في الشهرة؛ كالرياضة، والفن؟

أقول: لا ؛ لأن الشهرة شقاء لا سعادة، ولأن الشهرة لا حقيقة لها إن لم ترتبط بتقوى الله - سبحانه وتعالى- ، والذي يتقي الله - سبحانه وتعالى- لا يريد الشهرة؛ لأن الشهرة إذا ارتبطت بغير سبب أصيل فإنها تزول سريعاً، وإذا زالت عن صاحبها عاش في شقاء، وتعاسة.

قد يتوهم كثير من الناس أن السعادة موجودة عند صنفين من الناس هم أهل الرياضة وأهل الفن، فأقول:

١- أهل الرياضة:

معظمهم يعيش الشقاء في أيامه ولياليه.

فمن معسكر إلى معسكر، ومن سفر إلى سفر فلا يكاد يستقر مع أهله إلا قليلا، ويضطر أغلبهم إلى التفريط بمستقبلهم الدراسي وعدم مواصلته؛ بسبب الانشغال الكامل بالرياضة.

أضف إلى ذلك اضطرابهم عند كل مباراة، وكآبتهم عند كل هزيمة.

ثم إن الإصابات تتقاذفهم من كل جانب.

كما أن الخوف من رأي الجماهير ونظرتها عند أي هبوط في المستوى يجعلهم يعيشون شقاء متواصلاً.

ثم ماذا بعد ذلك؟ إن الناس سرعان ما ينسونهم بعد الاعتزال، فيزدادون ألماً وحزناً.

إذن فليست السعادة عند أهل الرياضة، وإن ظن الكثيرون أنها عندهم.

٢- أهل الفن:

إن حياتهم أسوأ حياة يعيشها البشر!

فشل أسري، مخدرات، انحلال، انعدام حياء، موت فضيلة.

وأقصد بأهل الفن: أهل الغناء والطرب، والتمثيل.

ولا أقول هذا من عندي، بل هو من مذكراتهم التي تعج بها الصحف صباح مساء، خذوا على ما أقول ثلاث وقائع:

الواقعة الأولى: "أنور وجدي" زوج الممثلة اليهودية ليلى مراد، هذه الزوجة التي قالت عنه في مذكراتها: "إن زوجي كان ممثلاً بسيطاً، فقال: أتمنى أن أملك مليون جنيه حتى ولو أصبت بمرض، فقلت له: ما ينفعك المال إذا جاءك المرض؟ فقال: أنفق جزءاً من المال في علاج المرض، وأعيش في بقيته سعيدا، فملك أكثر من مليون جنيه، وابتلاه الله بسرطان الكبد، فأنفق المليون جنيه وزيادة، ولم يجد السعادة حتى إنه كان لا يأكل إلا شيئاً يسيراً من الطعام، فهو ممنوع من أكل كثير من الأطعمة، وأخيراً مات بهذا المرض حسيراً نادماً.

الواقعة الثانية:

"نيازي مصطفى" وهو من كبار المخرجين، لكنه عاش حياته في شقاء وتعاسة، وعندما بلغ السبعين من عمره، وجدوه قد قتل في منزله، ووجدوا أنه في تلك الليلة التي مات فيها، قد أقام حفلة صاخبة، شاركه فيها أكثر من عشر فتيات، وفي الصباح وجدوه "أثراً بعد عين".

فقد وجدوه قتيلاً!

انظر إلى هذه الحياة، ذعر، وسكر، وخيانة، مات على هذه الحالة المأساوية _نعوذ بالله من سوء الخاتمة_.

الواقعة الثالثة: "عبد الحليم حافظ" الرجل الذي عاش حياته مريضاً، وحيداً، من غير زوجة ولا ولد إلى أن اختطفه الموت، وأنهكه المرض بعد الخمسين بقليل في قمة الشقاء.

فالسعادة - إذن - ليست إلا بريقاً زائفاً تشع به أعينهم لتوهم الآخرين بذلك مع أنهم يعيشون في الواقع قمة الشقاء والتعاسة.

السعادة في الشهادات

إذن، أين السعادة ؟

ربما كانت في نيل أعلى الشهادات، في أن يصبح الإنسان "دكتوراً"!!.

لكني أقول لكم - بكل ثقة - : لا .

ولنقف قليلاً مع ما يبرهن على هذا بجلاء ووضوح.

إليكم هذه القصة الحديثة، التي نشرتها مجلة اليمامة.

طبيبة تصرخ، تقول: خذوا شهاداتي وأعطوني زوجاً!

انظروا كيف تقول هذه الطبيبة، تصوروا، دكتورة في الطب، وربما كانت في نظر كثير من الناس "سعيدة جداً"، فما دامت امرأة واستطاعت أن تكون دكتورة، بل وفي الطب أيضاً.

لأن الطب - في نظر كثير من الناس - أعلى العلوم، وشهاداته أفضل الشهادات، وهذه نظرة خاطئة، إنما هذه نظرة الكثير من الناس، أن الإنسان إذا كان "دكتوراً"، وفي الطب، فإنه يعيش في قمة السعادة.

اقرؤوا ما تقوله هذه المرأة، حسب ما سطرت بقلمها، حيث جاء من ضمن كلامها: "السابعة من صباح كل يوم وقت يستفزني، يستمطر أدمعي، لماذا ؟ أركب خلف السائق متوجهة صوب عيادتي [ثم تستدرك] بل مدفني، بل زنزانتي"، تعبر عن عيادتها التي طالما كافحت حتى تصل إليها، تعبر عنها "بالمدفن"، تعبر عنها "بالزنزانة"، ثم تقول: "وعندما أصل مثواي" بدل أن تقول: أصل إلى مكتبي، ومقر سعادتي، تقول: أصل مثواي.

ويتواصل الحديث "أجد النساء بأطفالهن ينتظرنني، وينظرن إلى معطفي الأبيض، وكأنه بردة حرير فارسية، هذا في نظر الناس، وهو في نظري لباس حداد لي!!!

ثم تواصل قولها: أدخل عيادتي، أتقلد سماعتي وكأنها حبل مشنقة يلتف حول عنقي، العقد الثالث يستعد الآن لإكمال التفافه حول عنقي [أي: بلغت الثلاثين]، والتشاؤم ينتابني على المستقبل.

أخيراً تصرخ وتقول: خذوا شهاداتي ومعاطفي، وكل مراجعي، وجالب السعادة الزائفة [تعني: المال]، وأسمعوني كلمة "ماما".

ثم تقول هذه الأبيات:

لقد كنت أرجو أن يقال طبيبة ... فقد قيل، فما نالني من مقالها

فقل للتي كانت ترى في قدوة ... هي اليوم بين الناس يرثى لحالها

وكل مناها بعض طفل تضمه ... فهل ممكن أن تشتريه بمالها

التوقيع: دكتورة س.ع.غ. الرياض

السعادة في المنصب

إذن، لعل أصحاب السعادة هم أصحاب المناصب العالية المرموقة من قادة ووزراء وغيرهم؟

غير أني أقول لكم: لا.

أتدرون لماذا؟

لأن المسؤولية هم في الدنيا، وإن لم يقم صاحبها بحقها فهي حسرة وندامة يوم القيامة.

صاحب المنصب والسلطان لا يفارقه الهم خوفاً من زواله، تجده يشقى للمحافظة عليه، وإذا زال منصبه - ولابد أن يزول - عاش بقية عمره تعيساً.

والمنصب قد يكون سبباً في هلاك صاحبه، ولذلك يعيش في خوف وقلق دائمين.

وكفانا على ذلك قصة فرعون وهامان صاحبا المناصب العالية المرموقة اللذان خلد القرآن قصتيهما.

أما في العصر الحاضر، فأسرد لكم أمثلة سريعة.

١- شاه إيران:

الرجل الذي أقام حفلاً ليعيد فيه ذكرى مرور ألفين وخمسمائة سنة على قيام الدولة الفارسية، وأراد أن يبسط نفوذه على الخليج، ثم على العالم العربي بعد ذلك ليلتقي مع اليهود، ذلك الرجل الذي كان يتغنى ويتقلب كالطاووس، كيف كانت نهايته؟

لقد تشرد!! طرد!! لم يجد بلداً يؤيه، حتى أمريكا التي كان أذل عميل لها، وظل على هذه الحال حتى مات شريداً طريداً في مصر، بعد أن أنهكه الهم، وفتك به السرطان.

أما أولاده وأهله وحاشيته فقد أصبحوا أشتاتاً متفرقين في عدة قارات!!!

٢- رئيس الفلبين:

هذا الرجل الطاغية ماذا حدث له؟

لقد قلبت نظري كثيراً في قصته، فوجدتها جديرة بأخذ العبرة منها.

هذا الزعيم أذاقه الله غصص التعاسة والشقاء في الدنيا قبل الآخرة، فإذا به بين عشية وضحاها يتحول إلى شريد طريد يتنكر له أسياده وأصدقاؤه، لا

يملك الرجوع إلى بلد كان يرتع فيه كما يشاء، حتى إذا جاءت وفاته لم يستطع أن يحصل على أشبار قليلة في بلده يواري فيها سوءته.

فسبحان مالك الملك.

٣- بوكاسا:

وما أدراك ما بوكاسا! الذي صدر نفسه امبراطوراً، وما زلنا نذكر صورته وأفعاله في أفريقيا الوسطى.

عندما زار فرنسا، قام عليه انقلاب، فتشرد في فرنسا، حتى ضاقت به الأرض، فجاء إلى بلده باسم مستعار، فقبضوا عليه، وحوكم في بلده.

ولا أعلم الآن أقتل أم لم يقتل؟ لكن المعلوم أنه أصيب بعدة أمراض، أهونها أمراض التعاسة والهم والغم، في البلد الذي نصب نفسه امبراطوراً له.

هذه بعض الأمثلة السريعة وما أكثر أمثال هؤلاء الذين ذكرت، من السابقين واللاحقين، تجري فيهم سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير.

إذن هذه هي السعادة الوهمية التي يتصور الناس أنها حقيقة السعادة.

كثير من الناس يبدو لأول وهلة أنهم سعداء، وهم في الواقع يتجرعون غصص الشقاء والبؤس والحسرة.

يصور هذا المعنى الشاعر حمد الحجي _ رحمه الله_ في قصيدة له، فيقول:

ما لقيت الأنام إلا رأوا مني ... ابتساماً ولا يدرون ما بي
أظهر الانشراح للناس حتى ... يتمنوا أنهم في ثيابي

ثم يقول:

لو دروا أنني شقي حزين ... ضاق في عينه فسيح الرحاب
لتناءوا عني ولم ينظروني ... ثم زادوا نفورهم في اغتيابي

فكأني آتي بأعظم جرم لو تبدت تعاستي للصحاب
هكذا الناس يطلبون المنايا للذي بينهم جليل المصاب

ومن أوضح الأمثلة على السعادة الوهمية ما تعيشه أوربا، وبخاصة الدول الاسكندنافية، فهي أغنى الدول، سواء على مستوى الدولة، أو على مستوى دخل الفرد، ومع ذلك فهي تمثل أعلى نسب الانتحار.

فدولة السويد مثلاً هي أغنى دولة من حيث دخل الفرد، ولكنها أعلى دولة في نسب الانتحار!!

بينما نجد الدول الإسلامية - مع أن أكثرها فقيرة - تسجل أقل نسبة من نسب الانتحار في العالم.

وهكذا نرى من خلال الواقع أن السعادة الحقيقية ليست في المال ولا في الشهرة، ولا في الشهادات، ولا في المناصب، ولا ما أشبه ذلك من حطام الدنيا.

إذن أين تكمن أسباب السعادة؟ ما صفات السعداء سعادة واقعية حقيقية؟

قبل الإجابة على هذا التساؤل، نمهد لذلك بذكر بعض موانع السعادة على وجه الاختصار.

خامساً: موانع السعادة

لا ريب أن ثمة موانع كثيرة للسعادة تحول دون الوصول إليها، والتنعم بالعيش فيها.

وإليك يا أخي القارئ هم تلك الموانع:

١- الكفر: يقول الله - تعالى- : (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)(الأنعام: من الآية١٢٥).

هكذا يصور القرآن التعاسة والشقاء تصويرا دقيقا.

٢- عمل المعاصي والآثام والجرائم: ولن أستشهد على هذا الأمر فهو واضح جلي، لكني أذكر قولا من أقوال الكفار، لبيان هذه القضية.

يقول ألكس كاريل: "إن الإنسان لم يدرك بعد فداحة النتائج التي تترتب على الخطيئة، ونتائجها لا يمكن علاجها على وجه العموم".

ويقول سقراط، وهو كافر: "إن المجرم دائما أشقى من ضحيته، وإن من يكون مجرما ولم يعاقب على جرمه، يكون من أشقى الناس".

هكذا يقول هذان الكافران، بينما نجد " أن، صحابيا أذنب، فجاء إلى الرسول ﷺ وقال: يا رسول الله طهرني، وكررها على رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فأقام عليه الحد. " [رواه مسلم ١١/١٩٩].

٣- الحسد والغيرة: وأمر الحسد خطير، حتى إن الله - تعالى- يأمرنا بالاستعاذة من شر الحاسد، قال - تعالى- : (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (الفلق:٥).

وقال الله - تعالى- : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (النساء: من الآية٥٤). قال ذلك عن الكفار.

وقال رسول الله ﷺ موجها أمته: " لا تحاسدوا، ولا تقاطعوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا " [متفق عليه]

ولا مانع من أن نستشهد على سوء الحسد من كلام بعض أعدائنا.

يقوك فيكتور بوشيخ: "إن الحسد والغيرة والحقد أقطاب ثلاثة لشيء واحد، وإنها لآفات تنتج سموما تضر بالصحة، وتقضي على جانب كبير من الطاقة والحيوية اللازمتين للتبكير والعمل".

٤- الحقد والغل: قال - تعالى- في سورة الحشر: (وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا) (الحشر: من الآية١٠).

يصف الله - تعالى- المؤمنين في هذه الآية بأنهم يقولون هذا الدعاء، لأن الغل من موانع السعادة.

ويقول - تعالى- واصفا المؤمنين في حياتهم الأبدية، في جنة الخلد: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) (الأعراف: من الآية٤٣).

يقول إبراهيم الجمل: "الحاقد يظل طوال وقته لا يفكر إلا في النيل من الذي يحقد عليه، فقد يكذب عليه، وقد يضر به، ولا يهاب في سبيل ذلك ما يفعل".

٥- الغضب: لا شك أن الغضب من حواجب السعادة والانشراح، ولذلك امتدح الله المؤمنين قائلا عنهم: (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (الشورى: من الآية٣٧). ويقول الرسول ﷺ " ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب " [متفق عليه].

٦- الظلم: فإن الظلم مرتعه وخيم. وعاقبته سيئة إلى أبعد الحدود.

فلنقف على مثالين معاصرين يصوران عقبى الظلم ومآل الظلمة، هما (حمزة البسيوني، وصلاح نصر)، فقد كانا من جنود زعيمهما الهالك (جمال عبدالناصر) صبا على الدعاة إلى الله من الظلم والعذاب ما تقشعر له الأبدان.

ولكن: كيف كانت حياتهم؟ شر حياة والله.

أما حمزة البسيوني فقد بلغ به التجبر والطغيان إلى حد أنه كان يقول للمؤمنين - وهو يعذبهم حينما يستغيثون بالله - يقول: أين إلهكم لأضعه في الحديد!!!

وأما صلاح نصر فقد كان يعقد على زوجات الناس عقودا وهمية، وهن في عصمة رجال آخرين، ويتزوجهن!!! لكن كيف كانت نهاية أولئك الطغاة؟

حمزة البسيوني اصطدمت سيارته، وهو خارج من القاهرة إلى الإسكندرية، بشاحنة تحمل حديدا، فدخل الحديد في جسمه، من أعلى رأسه إلى أحشائه، وعجز المنقذون أن يخرجوه إلا قطعا.

هكذا أهلكه الله بالحديد، وهو الذي كان يقول إنه سيضع الله في الحديد، تعالى الله عما يقول الظالمون.

وأما صلاح نصر فقد أصيب بأكثر من عشرة أمراض مؤلمة، مزمنة، عاش عدة سنوات من عمره في تعاسة، ولم يجد له الطب علاجا، حتى مات سجينا، مزجوجا به في زنزانات زعمائه الذين كان يخدمهم.

إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته.

٧- الخوف من غير الله ﷻ إن الخوف من غير الباري - سبحانه- يورث الشقاء والذلة، ولذلك قال الله - تعالى- عن بني إسرائيل: (أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) (البقرة: من الآية١١٤).

وقال - تعالى- : (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران:١٧٥).

وقال إبراهيم لقومه - كما ورد في القرآن - : (وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ) (الأنعام: من الآية٨٠).

إذن فالخوف من غير الله من موانع السعادة.

٨- التشاؤم: كم كان التشاؤم سببا في التعاسة والمتاعب. ولهذا كان المصطفى ﷺ يعجبه الفأل، ويكره التشاؤم. [أخرجه أحمد ورواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه].

يقول الدكتور عزيز فريد: "المتشائم يتحمل بفعل اتجاهه التشاؤمي متاعب عدة، هي أشد وقعا على أعصابه من الكوارث والملمات التي قد تقع به".

٩- سوء الظن: فالله - سبحانه- يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) (الحجرات: من الآية١٢).

ويقول الرسول ﷺ " إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث " [متفق عليه].

١٠- الكبر: المتكبر يعيش في شقاء دائم، وتعاسة أبدية، وإن تغطرس، وتعالى على الناس، وغمطهم حقوقهم.

١١- تعلق القلب بغير الله: كتعلق قلب العاشق بمعشوقته.

ويكفي لتصوير خطورة الأمر أن نقرأ قصة مجنون ليلى، لنعلم كيف عاش هذا الرجل شريدا طريدا، حتى جن، ومات وهو عاشق.

وكم من عاشق مات في عشقه، وقدم على الله وقلبه معلق بغيره. فيالها من خسارة دنيوية وأخروية.

١٢- المخدرات: إن كثير من الناس يتوهم أن السعادة تجتلب بمعاقرة المخدرات والمسكرات، فيقبلون عليها، قاصدين الهروب من هموم الدنيا ومشاغلها وأتراحها، وإذا بهم يجدون أنفسهم كالمستجير من الرمضاء بالنار.

لأن المخدرات في الحقيقة من الحوائل دون السعادة، وإنها تجلب الشقاء، واليأس، والانحلال، والدمار.

دمار الفرد والمجتمع والأمة.

وإن لنا في الواقع الحاضر لخير شاهد على ذلك فليعتبر أولو الألباب.

والآن، بعد أن عرفنا موانع السعادة، فلنعد إلى طريق الخلاص والفكاك، إلى أسباب السعادة، والسبل الموصلة إلى ظلالها الوارفة.. فما هي أسباب السعادة وما هي صفات السعداء؟

سادساً: أسباب السعادة وصفات السعداء

إن من يريد أن ينال السعادة، وهو لم يأخذ بأسبابها يصدق عليه قول الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها   إن السفينة لا تجري على اليبس

فلنقف معا على أسباب السعادة وصفات السعداء لعل اللّه أن يوفقنا للأخذ بها إنه جواد كريم:

١- الإيمان باللّه، والعمل الصالح:

يقول اللّه تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) (النحل: من الآية٩٧) أي فلنحيينه حياة سعيدة.

وكلنا يريد الحياة الطيبة، فعلينا بالعمل الصالح مع الإيمان: (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (المائدة: من الآية٦٩).

وفي حديث أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال رسول اللّه ﷺ " عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد، إلا للمؤمن، إن أصابته سراء،

شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر، فكان خيرا له " [رواه مسلم ١٨/١٢٥].

وكان الرسول ﷺ يجد راحته ولذته في الصلاة والطاعة، كان يقول: " أقم الصلاة يا بلال، أرحنا بالصلاة " [رواه أحمد وأبو داود].

بينما نجد كثيرا من الناس يقول: أرحنا من الصلاة، نحن في غم، في هم، نحن مشغولون عن الصلاة - هكذا يقولون - والرسول ﷺ يقول: " وجعلت قرة عيني في الصلاة " [رواه أحمد والنسائي].

ولنعرج على مثال حي واقعي، لنرى كيف يفعل الإيمان بأصحابه، كيف يجعلهم يشعرون بالسعادة في كل الأحوال!! ابن تيمية - رحمه الله - عذب وسجن وطرد، ومع هذا نجده يقول، وهو في قلعة دمشق، في آخر مرحلة من مراحل إيذائه وجهاده، يقول: "ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري، أنى رحلت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة".

هكذا نجد شيخ الإسلام يغلق الطرق في وجوه أعدائه بهذه القولة الخالدة، التي تعد نبراسا يضيء الطريق للمؤمنين، ولا يستطيعها إلا عظماء الرجال، وذوو الهمم العالية.

٢- الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره:

فكله من الله - سبحانه وتعالى - فاعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك.

وهذه الصفة من أهم صفات السعداء، إذ لا يمكن أن تحصل السعادة إلا لمن يؤمن بالله، ومن الإيمان بالله الإيمان بقضائه وقدره، والرضا بقسمه، لأن

الإنسان في هذه الحياة لا بد أن ينتابه شيء من الهموم والمصائب، فإن لم يؤمن بالقضاء والقدر، هلك.

ولنضرب مثلا للإيمان بالقضاء والقدر، وأثره في سعادة الإنسان:

عروة بن الزبير- رحمه الله - أرادوا أن يقطعوا رجله، لأن فيها الآكلة (السرطان) فقالوا له: لابد أن نسقيك خمرا، لكي نستطيع أن نقطع رجلك بدون أن تحس بآلام القطع - خاصة أنهم بعد القطع سيضعونها في الزيت المغلي ليقف الدم - فماذا كان موقفه؟

لقد رفض وقال: لا، أيغفل قلبي عن ذكر الله!! فقالوا: إذن ماذا نفعل؟ قال: سأدلكم إلى طريقة أخرى، إذا قمت إلى الصلاة، فافعلوا ما تشاؤون، لأن قلبه - حينئذ - يتعلق بالله، فلا يحس بما يفعل به.

وفعلا عندما كبر مصليا، قطعوا رجله من فوق الركبة، ولم يتحرك، ولكن عندما وضعوا رجله في الزيت المغلي سقط مغشيا عليه، وفي الليل أفاق. فإذا بالناس يقولون له: أحسن الله عزاءك في رجلك، وأحسن الله عزاءك في ابنك.

لقد مات ابنه في هذه الأثناء، فماذا قال؟ قال بكل تسليم وإيمان بالقضاء: "الحمد لله، يا رب إن كنت ابتليت فقد عافيت، وإن كنت أخذت فقد أعطيت وأبقيت".

هذا هو الإيمان الصادق بالقضاء والقدر، ولكن أين أمثال هؤلاء التقاة الخاضعين لله، المسلمين لمشيئته، (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (فصلت:٣٥).

٣- العلم الشرعي:

فالعلماء العارفون بالله هم السعداء.

وإليك يا أخي الكريم قصة تناسب هذا المقام، وهي قصة لأحد العلماء الزهاد، ألا وهو أبو الحسن الزاهد، فما أحداث تلك القصة المثيرة؟

كان أحمد بن طولون - أحد ولاة مصر - من أشد الظلمة، حتى قيل: إنه قتل ثمانية عشر ألف إنسان صبرا (أي يقطع عنه الطعام والشراب حتى يموت) وهذا أشد أنواع القتل، فذهب أبو الحسن الزاهد إلى أحمد بن طولون امتثالا لقول الرسول ﷺ " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " [رواه أحمد والنسائي وابن ماجة] وقال له: "إنك ظلمت الرعية"، وخوفه بالله - تعالى - فغضب ابن طولون غضبا شديدا، وأمر بأن يجوع أسد ثم يطلق على أبي الحسن!! يا له من موقف رهيب!! لكن نفس أبي الحسن الممتلئة بالإيمان والثقة بالله، جعلت موقفه موقفا عجيبا.

عندما أطلقوا عليه الأسد أخذ يزأر، ويتقدم، ويتأخر، وأبو الحسن جالس لا يتحرك، ولا يبالي، والناس ينظرون إلى الموقف، بين باك وخائف على هذا العالم الورع.

وضعوا أمامه أسدا جائعا!! إنها معركة غير متكافئة!! ولكن ما الذي حدث؟ لقد تقدم الأسد وتأخر، وزأر، ثم سكت، ثم طأطأ رأسه، فقرب من أبي الحسن، فشمه، ثم انصرف عنه هادئا، ولم يمسسه بسوء.

وهنا تعجب الناس! وكبروا، وهللوا.

ولكن في القصة ما هو أعجب من ذلك.

لقد استدعى ابن طولون أبا الحسن، وقال له: قل لي بماذا كنت تفكر، والأسد عندك، وأنت لا تلتفت إليه، ولا تكترث به؟

فأجاب قائلا: إني كنت أفكر في لعاب الأسد - إن مسني - أهو طاهر أم نجس؟

قال له: ألم تخف الأسد؟ قال: لا، فإن الله قد كفاني ذلك.

هذه هي السعادة الحقيقية، التي يورثها الإيمان والعلم النافع، هذا هو الانشراح الذي يبحث عنه كل الناس.

هذا الموقف الصلب من أبي الحسن يذكرنا بموقف الصحابي الجليل خبيب بن عدي - رضي الله عنه - عندما أسره المشركون، وقبل أن يقتلوه، سألوه: هل لك حاجة قبل أن تموت؟ فطلب منهم أن يمهلوه حتى يصلي ركعتين، فأمهلوه فصلى ركعتين - وكان أول من سن الركعتين قبل القتل .

وبعد الصلاة قال: والله لولا أني خشيت أن تظنوا أني جزع من القتل، لأطلت الصلاة..

فلما رفعوه ليصلبوه ويقطعوه، سألوه: أتحب أن محمدا مكانك وأنك بين أهلك؟

فقال: "والله إني لا أحب أن يصاب محمد بشوكة بين أهله، وأنا في مكاني هذا"!!

انظر يا أخي إلى قوة اليقين، وصلابة المؤمنين!! ثم قال ﷺ "اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا".

وأنشد يقول:

ولست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي

ولست بمبد للعدو تخشعا ولا جزعا إني إلى الله مرجعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

شجاعة، بطولة! قوة يقين! رسوخ إيمان! يصلي بثبات، يرد عليهم بثبات، يدعو عليهم بثبات، ينشد هذه الأبيات بثبات، هذا هو لب السعادة لمن أرادها.

٤- الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن: (أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: من الآية٢٨).

إن من داوم على ذكر الله يعش سعيدا مطمئن القلب. أما من أعرض عن ذكر الله، فهو من التعساء البؤساء. (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) (الزخرف:٣٦).

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (طه:١٢٤).

(فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الزمر: من الآية٢٢) .

٥- انشراح الصدر وسلامته من الأدغال:

وفي القرآن الكريم آيات عديدة في مقام الانشراح، فقد حكى الله عن موسى - عليه الصلاة والسلام — قوله: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) (طه: من الآية٢٥).

وقال تعالى - ممتنا على رسوله محمد - ﷺ (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) (الشرح:١).

وقال تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ) (الأنعام: من الآية١٢٥).

ويقول – جل شأنه: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) (الزمر: من الآية٢٢).

فانشراح الصدر وطلبه من علامات السعادة وصفات السعداء.

٦- الإحسان إلى الناس:

وهذا أمر مجرب، ومشاهد، فإننا نجد الذي يحسن إلى الناس من أسعد الناس، ومن أكثرهم قبولا في الأرض.

٧- النظر إلى من هو دونك في أمور الدنيا وإلى من هو فوقك في أمور الآخرة:

كما ورد في التوجيه النبوي الكريم حين قال ﷺ " انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله " [رواه مسلم].

هذا في أمور الدنيا، لأنك إذا تذكرت من هو دونك، علمت فضل الله عليك.

أما في أمور الآخرة فانظر إلى من هو أعلى منك، لتدرك تقصيرك وتفريطك، لا تنظر إلى من هلك كيف هلك، ولكن انظر إلى من نجا كيف نجا.

٨- قصر الأمل وعدم التعلق بالدنيا، والاستعداد ليوم الرحيل:

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في كلمة جامعة مع أنها قصيرة: "الحياة قصيرة. فلا تقصرها بالهم والأكدار".

وهاك يا أخي هذه المحاورة القيمة التي دارت بين نفر، من المتخلين عن الدنيا، المتأهبين ليوم الرحيل.

جلس نفر من الصالحين يتذاكرون، ويتساءلون حول قصر الأمل.

فقيل لأحدهم: ما بلغ منك قصر الأمل؟ فقال: بلغ مني قصر الأمل أنني إذا رفعت اللقمة إلى فمي، لا أدري أأتمكن من أكلها أم لا!!

ووجه السؤال نفسه إلى آخر، فأجاب بقريب من ذلك.

ولما سئل ثالثهم عن مبلغ قصر الأمل في نفسه. قال: بلغ مني قصر الأمل أني إذا خرج مني النفس، لا أدري أيرجع أم لا!!

إن الحياة – يا أخي – قصيرة، فلا تزدها قصرا ومحقا بالهموم والأكدار.

٩- اليقين بأن سعادة المؤمن الحقيقية في الآخرة لا في الدنيا: قال تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) (هود:١٠٨).

ويقول الرسول ﷺ " الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر " .

وهنا قصة عجيبة لابن حجر العسقلاني – رحمه الله – خرج يوما بأبهته – وكان رئيس القضاة بمصر – فإذا برجل يهودي، في حالة رثة، فقال اليهودي: قف. فوقف ابن حجر. فقال له: كيف تفسر قول رسولكم: " الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر " وها أنت تراني في حالة رثة وأنا كافر، وأنت في نعيم وأبهة مع أنك مؤمن؟!.

فقال ابن حجر: أنت مع تعاستك وبؤسك تعد في جنة، لما ينتظرك في الآخرة من عذاب أليم – إن مت كافرا – .

وأنا مع هذه الأبهة – إن أدخلني الله الجنة – فهذا النعيم الدنيوي يعد سجنا بالمقارنة مع النعيم الذي ينتظرني في الجنات.

فقال: أكذلك؟ قال: نعم. فقال: أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

١٠- مصاحبة الأخيار والرفقة الصالحة:

ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر القرين على قرينه، فهو مشهود، ومجرب، وواضح من خلال الواقع، ومن خلال التاريخ.

ولذلك قال الرسول ﷺ " مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير... " [متفق عليه].

١١- أن تعلم أن أذى الناس خير لك ووبال عليهم:

قال إبراهيم التيمي: "إن الرجل ليظلمني، فأرحمه".

ويروى أن ابن تيمية أساء إليه عدد من العلماء وعدد من الناس، وسجن في الإسكندرية.

فلما خرج، قيل له: أتريد أن تنتقم ممن أساء إليك؟ فقال: قد أحللت كل من ظلمني، وعفوت عنه" أحلهم جميعا، لأنه يعلم أن ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة.

ويحكي الفضيل بن عياض - رحمه الله - أنه كان في الحرم، فجاء خراساني يبكي، فقال له: لماذا تبكي؟ قال: فقدت دنانير، فعلمت أنها سرقت فمني، فبكيت.

قال: أتبكي من أجل الدنانير؟ قال: لا، لكني بكيت، لعلمي أني سأقف بين يدي الله أنا وهذا السارق، فرحمت السارق، فبكيت.

وبلغ أحد السلف أن رجلا اغتابه، فبحث عن هدية جميلة ومناسبة، ثم ذهب إلى الذي اغتابه، وقدم إليه الهدية. فسأله عن سبب الهدية. فقال: إن الرسول ﷺ قال: " من صنع لكم معروفا فكافئوه "

وإنك أهديت لي حسناتك، وليس عندي مكافأة لك إلا من الدنيا. سبحان الله!!

١٢- الكلمة الطيبة، ودفع السيئة بالحسنة:

قال الله - تعالى - : (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت:٣٤).

فتأمل يا أخي هذا الإرشاد الإلهي العظيم.

وقال - تعالى - واصفا عباده المؤمنين: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) (الفرقان: من الآية٧٢).

١٣- الالتجاء إلى الله ﷻ وكثرة الدعاء: وقد كان ذلك من هدي الرسول ﷺ.

كان يقول: " اللهم أصلح لي ديني، الذي هو عصمة أمري. وأصلح لي دنياي، التي فيها معاشي. وأصلح لي آخرتي، التي فيها معادي. واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر " [رواه مسلم ١٧/ ٤٠].

وكان يقول: " اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين. وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت " .

ويقول - كما ورد في الأثر: " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، ومن الجبن والبخل، ومن غلبة الدين وقهر الرجال ".

ختاما: أدعوك أيها القارئ الكريم لتلحق بركب السعداء، سعادة حقيقية غير وهمية.

لتفوز بالحياة الطيبة الهانئة بعيدا عن الأكدار والمنغصات وذلك بتحقيق معنى الإيمان بالله والعمل الصالح في نفسك.

فإن الله عز وجل يقول: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل:٩٧).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.